هو العليم

شعار الحكومة الإسلاميّة ضوابطه وحقيقته

شرح حديث عنوان البصريّ – المحاضرة ٥٦

ألقاها

آية الله الحاجّ السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ

قدس الله سره

@MadrastAlwahy

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا وطبيب نفوسنا أبي القاسم محمّد وعلى أهل بيته الطيبين المعصومين المطهّرين واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيرًا

قال **إمامنا الصادق عليه السلام**: **ثلاثة أشياء أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله اللّه ملكًا؛ لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال اللّه يضعونه حيث أمرهم اللّه به، ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيرًا**

لا يدبّر العبد أبدًا لنفسه تدبيرًا، تقدّمت بعض الأمور حول الفقرة الشريفة لهذا الحديث الشريف، وكان البحث حول مباني الحكومة الإسلاميّة، وأنّه ما هي المعايير والملاكات التي لا بدّ من الالتفات إليها في حكومة الأنبياء؟ وبصورة عامّة ما هي الركيزة التي يجب أن تقوم عليها الحكومة الإلهيّة.

المعنى الأصيل للشعار وما ينبغي أن يكون شعارًا للحكومة الإسلاميّة

من الأمور المهمّة جدًّا في الحكومة الإلهيّة وحكومة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وبصورة عامّة في الحكومة الإسلاميّة بمعناها الحقيقي والمنطبق على حكومة رسل اللّه وخصوصًا أشرف وأكمل أنبياء اللّه ورسله النبيّ الأكرم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، مسألة انتخاب التعابير وكيفيّة الشعار الذي يطرح في تلك الحكومة. لأنّ مسألة الشعار، الشعار لا

بمعناه الاصطلاحي المعاصر، والذي يعني بيان مجموعة من الأمور المثيرة والمؤثّرة على المشاعر والأحاسيس باتّجاه جانب معيّن مطلوب، بل الشعار بمعناه الأصيل، أي المبيّن للعقيدة والهدف لتلك المدرسة، وهو بهذا المفهوم مهمّ جدًّا.

معنى التوحيد الذي هو شعار المدرسة الإسلاميّة

شعار المدرسة الإسلامية، مدرسة الإسلام والرسول الأكرم هو شعار التوحيد. أي التوحيد بالمعنى الواقعي للكلمة، التوحيد بمعنى استجماع الكمالات والصفات الإلهيّة، التوحيد ـ أعني التوحيد بالمعنى الواقعي للكلمة ـ هو بمعنى استجماع الكمالات والصفات الإلهيّة، التوحيد بمعنى الجمع بين الوحدة والكثرة في جميع مراتبها بدون الانصراف عن مرتبة إلى مرتبة أخرى، وبدون إحداثٍ لأيّة نقطة خلل ونقص وفراغ في إحدى نشأتي الوحدة والكثرة. وبعبارة أخرى، التوحيد في جميع مراتبه، سواء مرتبة الفناء ومرتبة الهوهويّة، والتي يعبّر عنها بعالم العماء وعالم هو وعالم الأحديّة، أو التوحيد في مراتب نزول الفيض والذي يعبّر عنه بعالم الواحديّة وعالم الكثرة وعالم التعيّنات. فرعاية المسألة في جميع ذلك مهمّة جدًّا.

وكما قال رسول الله نفسه: **بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**[1] أي بعثت لأوصل مكارم الأخلاق إلى نهايات تمامها، إلى كمالها، فكلّ ما هو مطروح كفضيلة أخلاقيّة في ناموس البشر، كاحترام الأكبر، فاحترام الأكبر هذا لم يعلمنا إيّاه أحد، ولكنّ الفطرة تقتضي أن يحترم الإنسان من هو أكبر منه. أي أنّ نفس الإنسان الأكبر تدعو إلى هذه المسألة. أنت تسير بواسطة سيّارتك، فترى عجوزًا يقف إلى جانب الطريق، تقول فطرتك فلأركبه وأوصله إلى حيث أستطيع. لم يعلّمك أحد ذلك. أو مثلاً مساعدة العاجز، كما لو كان هناك إنسان يمشي امرأة عجوز تحمل في يدها كيسًا من الطعام توصله إلى بيتها، وأنت ترى أنّها لا تتمكّن، لديها مشكلة، فتأخذه من يدها. من الذي علّمك هذا الأمر؟ من لفت نظرك إلى ذلك؟ فطرتك تفعل ذلك في النهاية، وإلاّ فليس هناك أحد يقول لك خذ كيس الطعام هذا من يدها، فانظر إنّها إحدى مكارم الأخلاق،

[1] المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج٣،ص ١٦.

احترام الأكبر مكرمة أخلاقيّة، مساعدة العجّز مكرمة أخلاقيّة، الصدق وقول الحقّ مكرمة أخلاقيّة، حتّى الطفل ألا يدرك؟ الطفل يدرك أنّ عليه أن يكون صادقًا، ولو أنّ إنسانًا تعامل معه بالكذب فإنّه يتعجّب. لماذا؟ لأنّ الطفل على أساس الفطرة، الطفل يتعامل مع الواقع الخارجي على أساس فطرته.

نحن للأسف نتعامل مع الواقع الخارجيّ على أساس معطيات عالم الكثرة، معطيات عالم الكثرة. وكون محوريّة حركة الإنسان على أساس المنافع الشخصيّة، غلط فاحش. محوريّة حركة الإنسان على أساس استجلاب المنافع الشخصيّة، وطرد الآخرين، جعل شأن لنفسه وتنحية الآخرين، الأنانيّات، الشخصيّات، الرياء، الكذب، الحيلة والمكر، وكافّة الأمور التي تشكّل عالم الكثرة كدنيا، لا الكثرة بمعنى نزول مراتب الفيض والتي هي عين التوحيد. ما نتواصل به مع الواقع الخارجي على أساس معطيات الشيطان هو أن نكذب للوصول إلى أهدافنا، أن نخادع للوصول إلى أهدافنا، أن نتوسّل بأيّة وسيلة شيطانيّة للوصول إلى أهدافنا، أن لا نقصّر في السباب والشتائم للوصول إلى أهدافنا، أن نريق ماء وجه الآخرين للوصول إلى أهدافنا، فما كلّ هذا؟ إنّها وسائل شيطانيّة يمكن أن ترد أحيانًا إلى قاموس التديّن! فلنلتفت، الأمر مهمّ جدًّا، الشيطان شيطان، وأينما حلّ حلّ معه التكدّر والتعفّن، سواء كان في ذلك المكان اسم اللَه، أو كان فيه اسم آخر.

تلك مكارم إلهيّة أعطاها اللَه للبشر: احترام الأكبر، الصدق، قول الحق، حفظ الأمانة، وعدم الخيانة.

يقول الإمام السجّاد عليه السلام[1] ـ ولا أدري ما إن كنت ذكرت لكم روايته أم لا؟ ـ قال لا تنظروا إلى الصلاة والصيام، لا تنظروا إلى الظاهر المزيّن واللحية والعمامة ـ طبعًا أنا أبيّن هذا ولم يأت في كلام الإمام السجّاد ـ لا تنظروا إلى الظاهر المزيّن ـ أنا أقول ـ لا تنظروا إلى اللحية

[1] وسائل الشيعة، ج٨، ص ٣١٧: قال علي بن الحسين (عليهما السلام) : إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتمارت في منطقه وتخاضع في حركاته فرويدا لا يغرنكم ، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها لضعف نيته ومهانته وجبن قلبه ، فنصب الدين فخا لها ، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره ، فان تمكن من حرام اقتحمه...

والعمامة، لا تنظروا إلى العصى السوداء والنعلين الصفراوين وعصى خشب الأبنوس، لا تنظروا إلى الجبّة والعباءة النجفيّة المطرّزة وهذه الأمور وهذا الظاهر، فهذا كلّه ظاهر. نحن لا ندري ماذا وراء هذا الستار، هل نفذنا أنا وأنت بهذه العين إلى وراء هذا الظاهر ووصلنا إلى الباطن، إنّ أعيننا لا ترى سوى العباءة والعصا، أعيننا لا ترى سوى العباءة والرداء، هل التفتّم؟ هذه العباءة والرداء هما قماش، وتلك العصا هي خشب، فسواء كان هذا الخشب في يدك أم في يد غيرك فلا فرق.

إشارة إلى الجلسات السرّية عام اثنين وأربعين وكيفيّة ارتباط المرحوم العلامة مع أفرادها

لقد تذكّرت الآن عبارة، المرحوم العلاّمة رضوان الله عليه... وبالطبع الأمر الذي أريد أن أقوله لكم سأشير إليه في المستقبل إن شاء الله، عند الحديث عن الأمور التي تندرج تحت عنوان الموانع التي يمكن أن تمنع من تشكيل الحكومة الإسلاميّة الحقّة، هناك سأتحدّث عن هذا الأمر، ولكن الآن سأشير بشكل إجماليّ:

عندما عقَد المرحوم العلاّمة سنة اثنين وأربعين وقبلها تلك الجلسة التي تحدّث عنها في كتاب وظيفة الفرد المسلم، كان على تواصل مع بعض الأفراد، وكثير منهم انتقلوا إلى رحمة الله، وكان الرجل الأوّل قائد الثورة سماحة آية الله الخمينيّ، حيث كان بينهما علاقة وثيقة وسريّة وخفيّة، وكان هناك في هذا المجال آخرون يعملون في حدود النشاطات السرّية. منهم **آية الله الميلاني رحمه الله**، وكان رجلاً عظيمًا جدًّا، متجاوزًا عن نفسه على حدّ تعبير المرحوم العلاّمة نفسه. ومنهم المرحوم آية الله القاضي، والذي استشهد في تبريز على أيدي هؤلاء في بداية الثورة، السيّد القاضي الطباطبائي والذي يبدو أنّه كان إمام جمعة تبريز. وكان منهم السيّد صدر الدين الجزائري، وكان منهم ابنه الذي لا يزال بحمد الله على قيد الحياة، وكان منهم آية الله الشهيد مطهّري، وكانت عدد آخر كانت بينهم في هذا المجال علاقة وثيقة، منهم الآخوند ملا علي الهمداني حيث كان على علاقة معهم، ومنهم المرحوم العلاّمة الطباطبائي رضوان الله عليه، والذي كان يشارك في بعض الجلسات عندما كان يأتي إلى طهران ولم يكن يشارك في جميعها. والحاصل أنّ العلماء والأعاظم وأهل العمل وأهل الحميّة وأهل العرق الديني، كانوا

يجتمعون بشكل سريّ وخفيّ ويسيرون بالأمور، وكان منهم والد الصديق العزيز سماحة الشيخ حائري سماحة آية الله الشيخ صدر الدين الحائري الشيرازي والذي كانت علاقته حميمة جدًّا. وهو لا يزال على قيد الحياة، وكانت أمور محافظة فارس تقريبًا على عهدته. وكان منهم الشهيد آية الله دستغيب رحمة الله عليه والذي كان رجلاً من الأعاظم ومن أبرار الدهر. فقد كان السيّد دستغيب رجلاً جليلاً، مراقبًا صاحب حميّة متديّنًا صاحب عرق دينيّ، وبالطبع هذا اللفظ قصير ولكنّه ذو معنى وفير، وإن شاء الله إذا وفّقنا ربّما يكون لنا كلام قليل حول العرق الدينيّ هذا.

على كلّ حال لقد كان هؤلاء يبذلون ذلك الزمان مع المرحوم العلاّمة في تلك الجلسة السريّة جهودًا كبيرة فعّالة في سير الثورة في مجراها الصحيح. وكان منهم المرحوم الحاج الشيخ محمّد جواد الفومني الرشتي والذي سجن أيضًا ذلك العام وأصيب في السجن بأمراض، وعندما خرج ابتلي بمرض في الكبد وبالتهاب الكبد الوبائي وتوفّي. كنت أريد أن أقول لكم إنّه كان يقول: عندما خرجت من السجن والكلام للشيخ محمّد جواد الفومني جاء والدنا لزيارته وأهداه زجاجة عطر كاشانيّ كانت لديه في المنزل فوضعها في جيبه وأخذها إليه إلى هذا المرحوم، وكان منزله في شارع ساحة خراسان في طهران في شارع لرزاده. وكان رجلاً صريحًا طيّب النفس والقلب، والحاصل أنّه كان من الرجال الكثيري العمل. فذهب العلاّمة إليه وسلّم عليه وجلس عنده وقدّم له زجاجة العطر هذه، قدّمها للشيخ الفومني، فسرّ كثيرًا، سرّ كثيرًا، فتعجّب والدنا وقال: ماذا حصل في النهاية؟ في النهاية قدّمت إليك زجاجة عطر فقط. فقال: في النهاية أنت لا تدري، لا تدري أنّي منذ أن خرجت من السجن إلى الآن كلّما التقيت بأحد لامني وأنّبني: ما هذا العمل؟ لم يبلغنا، هذا العمل ليس لهذا الزمان، اجلس في دارك، اذهب إلى المسجد وصلّ صلاتك، كذا وكذا، ما علاقتنا بهذه الأعمال، الوحيد الذي جاء إلى المنزل وجاء معه بهديّة هو أنتم. يبدو أنّه كان يقول ذلك لأجل هذا: نحن في بداية هذه الحركة والنهضة الإلهيّة كنّا نتصوّر أنّه عندما نقوم بهذه الحركة فإنّا سنتلقّى التأييد من جميع الأطراف والأكناف، من أئمّة الجماعات وعلماء كلّ محلّة، فيأتون ويدعموننا ويأيّدوننا ويساعدوننا ويجمعون الناس. فرأينا بعد مدّة أنّهم ليس فقط لا يساعدوننا، وليس فقط لم نر تجاوبًا وتعاونًا في هذا المجال، بل

رأينا أنّ كثيرًا منهم يضعون أيّ صخور في طريقنا، حتّى أنّهم كانوا يصلون بالأمر أحيانًا إلى مواضع خطيرة. مثلاً افترضوا أنّه تقرّر في وقت معيّن أن يعطّل جميع أئمّة الجماعة المساجد، فكنّا نرى أنّ بعضهم لم يكونوا يعطّلون، يذهبون ويفتحون أبواب المساجد، يفتحون أبواب المساجد. فهذا يسبّب هزيمة، والنظام يسيء الاستفادة منها. فهذا الاختلاف والتشتّت كان لصالحهم بشكل كامل.

هناك أمر لا أريد أن أقوله، ولكنّي أشير إليه بالإجمال، والحاصل أنّ الاختلاف الذي كان يمكن أن يقع كثيرًا بن الناس وبين العلماء في السابق كان أحد الأسباب المهمّة جدًّا لتحديد نظرة الخارج إلى مدرستنا. هل فهمتم كلامي أم لا؟ لقد مضيت.

هذا الأمر مهمّ جدًّا أن كيف يطبّق الإنسان نفسه ـ في حركة ما وفي مسير ما وفي نظام ما ـ مع تلك الموازين التي جعلها اللّه في وجوده، ولا يتعدّى تلك المعايير.

الشعار في المدرسة الإلهيّة والمدارس الماديّة

الشعار في المدرسة الإلهيّة يجب أن يكون شعار التوحيد. وكما ذكرت في الجلسات السابقة فإنّ محوريّة كلّ حركة يجب أن تكون منسجمة مع الشعارات التي تطلقها. ففي مدرسةٍ ماديّةٍ تريد أن تطرح نفسها في الدنيا انظروا ما هو الشعار الذي تطرحه؟ الحريّة في جميع المجالات، الرفاهيّة الاقتصاديّة للجميع، المساواة في المواهب الطبيعيّة لجميع الناس. فهذه شعارات تطرحها مدرسة ماديّة ما على سبيل المثال. حتّى ينجذب الذين ينسجمون معها فكريًّا وفئة دمهم تناسب هذه المدرسة. ففي النهاية كلّ من يريد أن يطرح عقيدة لا بدّ أولاً أن يعرّف عن نفسه. وبالتعريف يصل أولئك الناس إلى كيفيّة تفكيره وكيفيّة عقيدته. فإن وفّق فبها وإلاّ اعترِض عليه: أنت وعدتنا بهذا، فلماذا كانت النتيجة هكذا؟ أنت طرحت الرفاهيّة الاقتصاديّة، فلماذا يتخبّط الناس؟ ففي المدارس الماديّة الأمر هو هذا في النهاية، أنت طرحت التعاون مع جميع الدنيا، فلماذا صرت عدوًّا للجميع؟! هذه أمور يمكن أن تطرح في المدارس الماديّة.

أمّا في المدرسة الإلهيّة فالشعار هو الوصول إلى التوحيد، الوصول إلى مجتمع عادل، الوصول إلى الكمالات، الوصول إلى فعليّة الاستعدادات، أن يجعلوا المجتمع من حيث الظاهر والباطن في وضع يمكن لكلّ إنسان فيه أن يبلغ إلى فعليّة كافّة الاستعدادات الدفينة فيه بالقوّة[1]. هذا الأمر هو شعار في المدرسة الإسلاميّة. أي جعل المجتمع بحالة لا يشعر معها بوجود أيّ رادع ومانع عن وصول جميع الاستعدادات والقيم التي أودعها الله تعالى في النفس إلى مرتبة الفعليّة. أن يكون ظاهر المجتمع ظاهرًا لا يثير الفتنة، ولا يحرّك الأحاسيس، وأن لا يحرّك القوى والغرائز التي أودعها الله في غير مسيرها الصحيح، أن تكون حالة الإنسان في أفضل وضعيّة من دون أيّ تخيّل وتفكير شيطانيّ. أن تُزال من ذلك المجتمع موانع التقدّم في الطريق، أن لا تكون تلك الأمور التي تسبّب انصراف الإنسان وانحرافه. هذه أمور تبشّر بها المدرسةُ الإلهيّةُ المجتمعَ والناس. هذا هو شعار المدرسة الإلهيّة، هذا شعار مدرسة الأنبياء.

معنى شعار الله أكبر في الإسلام

فإذن عندما ننظر إلى تاريخ الإسلام وتاريخ الرسول الأكرم، نرى أنّ الشعار الذي عيّنه النبيّ للمدرسة الإسلاميّة هو شعار الله أكبر، أي طرح كشعار في مدرسة الإسلام، وفي هذه الحقيقة التي جاءت من عند الله، والموهبة التي وهبت للأمّة الإسلاميّة، طرح معنى هذه العبارة الشريفة التي هي عبارة عن الله أكبر، وهي غير مسألة التوحيد التي كان جميع الأنبياء السابقين مساهمين وشركاء فيها. فالشعار الذي يقدّمه النبيّ الأكرم هو شعار الله أكبر، أي الوصول إلى مرتبة لا يسعها الفهم، ولا للعقل إليها سبيل. تلك المرتبة مرتبة أعلى من إدراك حقيقة الفناء أيضًا. وتلك المسألة مسألة الجمع بين جهتي الوحدة والكثرة والتي يعبّر عنها بالبقاء الكامل في جميع المراتب الوجوديّة بعد الفناء، فمرتبة الله أكبر بهذه الخصوصيّة تغدو شعار الإسلام. انظروا كم هو مهمّ هذا الأمر، فشعار الإسلام ليس هو الرخاء الاجتماعيّ، شعار الإسلام ليس

[1] اصطلاحا القوّة والفعل اصطلاحان فلسفيّان، فالقوّة تعني الاستعداد والإمكانيّة كالبذرة هي شجرة بالقوّة أي لها استعداد أن تكون شجرة، والفعل هو تحقّق ذلك الاستعداد كأن تصير البذرة شجرة وتحقّق استعدادها فيقال هذه الشجرة هي شجرة بالفعل.

الحريّة والتفلّت، شعار الإسلام ليس تحقيق أمور الدنيا، شعار الإسلام ليس هو الرهبانيّة في المقابل، وليس الانعزال، والابتعاد عن تلك الأمور الفطريّة، وليس التخلّي عن القيم، شعار الإسلام هو معنى أعلى من كلّ ذلك، هو تحقيق الفعليّة لهذه الخصوصيّة الإنسانيّة وهذا الاستعداد المودع في فطرة الإنسان. فمن كان رجل هذا الميدان فليتفضّل بسم الله، هذا ما يقوله الإسلام، يقول النبيّ: نحن نريد أن نقودكم نحو هذا الاتّجاه، فإن كنت رجل هذا الميدان فتفضّل بسم الله، وإن لم تكن رجله فتعال على قدر طاقتك واستطاعتك. أولئك الذين يشدّون حزام الهمّة على ظهورهم ويشمّرون عن سواعدهم ويسيرون في هذا الوادي بكامل وجودهم وكامل إمكاناتهم وبدون أيّة ملاحظة فإنّ مآلهم في النهاية الوصول إلى مرتبة الشعار هذه. أمّا الذين لا، وحسب مقتضياتهم، وبمقدار همّتهم، وحسب مقدار سعيهم وجهادهم، فإنّهم يأخذون حسب ما يبذلون. هذه هي المسألة.

الوصول إلى مرتبة الجامعيّة بين الوحدة والكثرة وعالم البقاء بعد الفناء وبعد الاندكاك الذاتي والانمحاء، فهذه المسألة هي مسألة شعار الإسلام. هكذا تتشكّل هذه النقطة المحوريّة في مدرسة أنبياء الله وخصوصًا الرسول الأكرم.

أمّا لو تنازلنا عن هذا الأمر، يقول المرحوم العلاّمة: إذا تأمّلتم في الأذان فإنّ أوّل عبارة توحيديّة تشرع بكلمة الله أكبر المباركة. لا بدّ من قول الله أكبر أربع مرّات. ومرّتان في الختام. وفي الإقامة مرّتان الله أكبر. وهناك أيضًا مرّتان في آخرها الله أكبر. فمسألة الله أكبر مهمّة إلى درجة أنّها تتكرّر في الأذان والإقامة بهذا النحو. عندما نشرع بالله أكبر ونتقدّم نصل إلى أوّل عبارة تقول: حيّ على الفلاح. فكيف تصل إلى هذا الأمر؟ كيف تصل إلى أمر الله أكبر، كيف يتحقّق لك إدراك حقيقة هذه العبارة القيّمة؟ لها طريق: حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح، لا بدّ أن تصل إلى الفلاح لكي تتمكّن. فما هذا الفلاح؟ إنّه حيّ على الصلاة. فالصلاة تصبح مقدّمة للوصول إلى هذا المعنى العظيم، الوصول إلى هذا الشعار وإلى هذا الهدف، هذا يغدو حقيقة

الصلاة، لذا يقول: **الصلاة خير موضوع[1] إن قبلت قبل ما سواها[2] وإن ردّت ردّ ما سواها[3]**. خير أساس بني في الإسلام هو أساس الصلاة، إن قبلت قبلت سائر العبادات، وإن ردّت فالباقي مردود. والآن انظروا كيف يعمل أمير المؤمنين بهذا الشعار، وفي المقابل كيف يعمل به الخليفة الثاني عمر؟ فأمير المؤمنين في معركة صفّين ـ والجميع سمع بهذا، وربّما بنفسي ذكرته عدّة مرّات ولو قلته ألف مرّة فربّما يكون قليلاً ـ في خضمّ المعركة والقتال، يأتي رجل يسأل أمير المؤمنين حول أمر ما، فقد صلّيت صلاة الصبح بهذه الطريقة، فهل هي صحيحة أم لا؟ أعيدها أم لا؟ فغضب ابن عبّاس إلى جانبه وقال: الآن وقت قتال وأنت تسأل عن الصلاة؟

يقول أمير المؤمنين: فعلام نقاتلهم؟ انظر كيف يفكّر أمير المؤمنين، وانظ كيف يفكّر ابن عبّاس ئظ؟ ومع ذلك ألف رحمة على ابن عبّاس، انظر الآن إلى عمر كيف يفكّر؟ فأمير المؤمنين يوقف القتال لكي يجيب على سؤال حول الصلاة.

هذا ليس أمرًا يمكننا أن نصل إليه نحن بسرعة، يوقف القتال لكي يحلّ مشكلة في الصلاة وقعت لإنسان، يريد بذلك أن يوصل هذه الفكرة وهي أنّ كامل حركة الحكومة الإسلاميّة لا بدّ أن ترتكز إلى الوصول إلى التوحيد، وطريقه الصلاة. التوجّه إلى اللّه هو الذي يمكنه أن يحقّق هذا الأمر. الظواهر المزيّنة ليس لها مكان هنا، الفتح والانتصار والظفر والضجيج والشعارات الإعلاميّة لا مكان لها في حكومة أمير المؤمنين، يوقف تسعين ألف رجل لكي يجيب على سؤال حول الصلاة، هذا أمر مهمّ جدًّا.

حذف عمر حيّ على خير العمل من الأذان

أمّا السيّد عمر فماذا يصنع؟ أوّل عمل يقوم به هو أنّه يأتي ويحذف حيّ على خير العمل ويضع مكانها الصلاة خير من النوم، واقعًا الإنسان يتحيّر في عقل وفهم هذا العظيم! حذفُ تلك [الدعوة إلى] الصلاة ووضع الصلاة خير من النوم يكشف واقعًا عن عقله ودرايته. الصلاة

---

[1] بحار الأنوار، ج٧٩، ص ٣٠٨.

[2] الكافي ج٣، ٢٦٨.

[3] الوسائل، ج٦، ص ٤١٨: إن لم تسلم صلاته وردت عليه رد ما سواها من الأعمال الصالحة .

خير من النوم! كأن نقول شرب الماء خير من العطش! أو تناول الطعام خير من الجوع! بدلاً من أن تناموا قوموا إلى الصلاة!

فأوّلاً هو لا يرى الصلاة إلاّ في هذا الاصطفاف والتكلّم ببعض العبارات، وإلاّ لما قال هذا الكلام. ففي النهاية ألا يفرّق الإنسان بين النوم والشخير وبين الصلاة...، هذا هو الفارق بين الصلاة وبين الشخير... بدلاً من أن تناموا قوموا وقولوا اللّه أكبر!

هل صار الأمر واضحًا؟ هذه نقطة. النقطة الأخرى المهمّة هي أنّك بأيّ صفة تأتي وتغيّر كلام رسول اللّه الذي ورد كشعار؟ من الذي أجاز لك أمرًا كهذا؟ والأفضل من هذا "العظيم" هؤلاء الذين يتّبعونه ويقولون في صلاة الصبح الصلاة خير من النوم بدلاً من حيّ على خير العمل. قوموا إلى الصلاة فهي خير من النوم.

العبارة التي كانت للمرحوم العلاّمة هنا هي هذه: عندما يصلون إلى هذا الموضع فإنّكم تطّلعون على نحوين من التفكير، حركة عثرت على حقيقة الأمر وحقيقة الموضوع وهي تقوم بإعلانه، وما هي هذه الحركة؟ حركة المدرسة الإلهيّة التي هي مدرسة الرسول الأكرم والأئمّة المعصومين عليهم السلام، المعصومين الأربعة عشر، وعلى أساس عثورهم على تلك الحقائق المشرقة في ضمائرهم فإنّهم يقدّمونها للنّاس، ويبلّغونها: **الصلاة خير موضوع إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها**، هذا الكلام كلام من؟ هل هو كلام عمر أم كلام الإمام الصادق عليه السلام؟ هل هذا الكلام هو كلام أبي بكر الذي يتّبعه الآن أكثر المسلمين، أم كلام المعصوم عليه السلام؟

لا بدّ من كتابة هذا الكلام بالذهب، وما الذهب؟! إنّ مقارنته بالذهب إهانة له، ولكن فقط من باب الأمر المتعارف. لا بدّ أن يجعل الإنسان هذا الكلام نصب عينيه، فما هو المراد من أن تأتي هذه المدرسة وتجعل الصلاة كشعار لها؟

فلسفة الصلاة وسرّ جعلها شعارًا

هذه المدرسة تريد أن تقول: يا أيّها الإنسان إنّ حقيقتك ليست ظاهرك فحسب، حقيقتك هي روحك، وروحك ونفسك باقية، هذا الظاهر يصبح ترابًا بعد يومين، هؤلاء الشهداء[1] الذين يأتون بهم ويشيّعونهم؟ بماذا يأتون منهم؟ يأتون ببضعة عظام في النهاية. بل حتّى لا يأتون بعظامهم، بل شيء بسيط كرمز لذلك الإنسان. إنّ حقيقة الشهيد هي الباقية، لا هذا الكيلو من العظام التي تشيّع الآن. أين تلك الثمانون كيلو والتسعون كيلو؟ أين تلك القامة الممشوقة؟ أين ذلك الوجه الجميل؟ أين تلك الأمور التي كانت من قبل؟ لقد ذهبت كلّها. إنّ ما بقي فعلاً وما يعطي هذا الشهيد قيمة ليس هو هذا الكيلو من عظامه التي تشيّع. إنّها روحه بذلك الهدف العالي والهدف الرفيع الذي كان لها وقد اشترت به تلك السعادة هناك يسيطر على حالهم (ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[2]

هم مشمولون لـ (ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربّهم يرزقون)[3]. ولهذا فنحن نعظّم ذكرهم مثلاً ونطلب لهم الرحمة والمغفرة، وإلاّ فإنّ هذا العظم قد انتهى، هذه الثمانون كيلوًا صارت ترابًا وانتهت، لم يبق شيء من السبعين كيلوًا. لم يبق إلا تلك الصحيفة المعدنيّة التي كتب عليها الرقم، ولم يبق منه حتّى غرام واحد.

ففي مدرسة الإسلام الآن يقولون: إنّ قيمتكم بروحكم، وبعد الذهاب من هنا تكون البداية. ماذا فعلت؟! ماذا لم تفعل؟ هذا هو المهمّ، احتفظ بهذا الأمر في هذه الدنيا في علاقتك مع إلهك، فالصلاة التي نصلّيها، توجّهنا في تلك الصلاة هو الذي يكوّن حقيقة وجودنا في ذلك الوقت. فإذن كنّا نصلّي ولا نؤدّي إلا عبارات ونصلّي ركعات بغير التفات إلى هذا الأمر، فلنعلم أنّا لم نصل إلى ذلك المطلوب. ذلك الكلام عن الإمام الصادق عليه السلام حينما يقول، أو

---

[1] يقصد رفاة الشهداء الذين سقطوا في الحرب العراقيّة الإيرانيّة والذين يعثر على رفاتهم بعد سنوات فيأتون بها ويشيّعونها في مختلف المدن الإيرانيّة.

[2] سورة يونس (١٠) الآية ٦٢.

[3] سورة آل عمران (٣) الآية ١٦٩

كلام رسول الله أو كلام أمير المؤمنين حول الصلاة: **الصلاة قربان كلّ تقيّ**.[1] الصلاة وسيلة تقرّب كلّ إنسان تقيّ، وحقيقة الإنسان بعبوديّته، وتلك العبوديّة لا تتحقّق إلا في ظلّ الصلاة. فإذن بناء على ذلك، إذا أردنا أن ننظر إلى الأمر بالالتفات إلى هذه المعادلة، نصل إلى أنّ أهمّ نقطة في المدرسة الإلهيّة هي الاهتمام بالباطن، وذلك التوجّه الذي يحصل لدى الإنسان في الصلاة يصبح هو الشعار.

عندما وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه النقطة لم يعد مهمًّا بالنسبة إليه لا القتال ولا الصلح، المهمّ عنده هو الصلاة، عندما يسألون عن الصلاة يوقف القتال ويجيب على السؤال حول الصلاة. ولكنّ عمر لم يصل إلى هذه الحقيقة، عمر لم يصل إلى هذه النقطة، عمر لم يشمّ رائحة الفكرة. إنّ طريقة تفكير أمير المؤمنين تقتضي أن يجعل الصلاة في الصدارة وأعلى من جميع الأمور، ويجعل محور حركته على أساس الوصول إلى هذه الغاية. أمّا طريقة تفكّره ـ عمر ـ فإنّها تقتضي أنّ يهبط بالصلاة إلى متسوى المقارنة مع النوم فيقول: الصلاة خير من النوم. انظر إلى طريقتي التفكير هاتين في مدرسة أهل البيت ومدرسة أهل السنّة كيف تعلنان عن نفسيهما.

التفكير الإلهيّ هو تفكير أمير المؤمنين، التفكير المادّي: قوموا وقاتلوا. لماذا فعلت ذلك [حذفت حيّ على خير العمل]؟ لأنّا إن قلناها فإنّ الناس لن يذهبوا بعد ذلك إلى القتال! يقولون: بدلاً من أن نذهب إلى القتال نصلّي. فأنت لا تقول حيّ على الجهاد سارعوا إلى الجهاد، حيّ على الحرب هلمّوا إلى الحرب، هلمّوا إلى الجهاد. أنت تقول: حيّ على الصلاة، فحيّ على الصلاة تعني أنّ من المسلّم أنّ الصلاة مقدّمة على الجهاد، فلن يأتي بعد ذلك أحد.

---

[1] الجعفريات، ص ٣٢ عن إسماعيل عن أبيه الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام؛ الكافي، ج ٣، ص ٢٦٥ ح٦ عن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام؛ الفقيه، ج٤ ص ٤١٦ ح ٥٩٠٤ عن زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام؛ نهج البلاغة، ج٤، ص ٣٤، الحكمة ١٣٦؛ مسند الشهاب، ج١، ص١٨١ ح٢٦٥ عن عبد الله بن الزبير عن الإمام علي عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله.

قيمة الصلاة أن تكون تحت الولاية

الخواجة ربيع المدفون الآن في مشهد كان من أصحاب أمير المؤمنين، وأهل السنّة يعدّونه من العشرة المبشّرين، أحد العشرة الذين صدرت لهم البشارة بالجنّة، أهل السنّة هكذا يقولون. وقد عيّنه أمير المؤمنين عليه السلام في معركة في إحدى هذه الفتوحات التي حصلت في زمانه. فجاء إلى أمير المؤمنين: يا عليّ أين أنا من الحرب؟ أين أنا من الجهاد؟عيّن لي مكانًا أعبد الله فيه. فقال له أمير المؤمنين: اذهب إلى خراسان واعبد الله هناك.[1] فهل هذا يعطيه قيمة؟! هل هذا مهمّ بالنسبة إليه؟! من لم يتّبع إمامه ويريد أن يتحرّك على أساس معطياته الخاصّة، فلا حقيقة لها بالنسبة إليه، وتلك الصلاة بالنسبة إليه لم تعد صلاة، **الصلاة قربان كلّ تقيّ** عندما تكون متّصلة بحقيقة أمير المؤمنين عليه السلام، تلك هي **قربان كلّ تقيّ**، تلك الصلاة تصبح شعارًا، لذلك فإنّ ذاك بعينه يأتي من جهة أخرى ويصفع ابنة النبيّ على وجهها، يأتي ويعصرها وراء الباب، يصرعها أرضًا، ويسقط جنينها، ثمّ يأتي ويقيم صلاة الجمعة. فأنت تزيل حقيقة الإسلام ثمّ تقول الصفّ؟ يجب أن يتشكّل صفّ الجماعة، ويشارك المسلمون في صفوف الجماعة، يجب أن يكونوا كاليد الواحدة في المسجد، وأمير المؤمنين الذي لا يريد أن يأتي إلى الصلاة يأتون به بالقوّة، لماذا لا تأتي إلى صفوف المسلمين؟! لماذا لا تقف إلى جانب الآخرين وتشارك في الجماعة؟!

هل صار الأمر واضحًا؟ تلك الصلاة تصبح **قربان كلّ تقيّ**، هذه الصلاة تصبح مقرّبة، أنت تعارض حقيقة الولاية، ثمّ تستخدم هذه الصورة الظاهريّة لخداع الناس، تطرد الناس عن الولاية بواسطة هذه الصورة الظاهريّة، والناس أيضًا لا عقل لهم، والناس أيضًا لا شعور لهم،

---

[1] معجم رجال الحديث، ج٨، ص ١٧٤: ربيع بن خثيم: قال الكشي في الزهاد الثمانية : " علي بن محمد بن قتيبة ، قال : سئل أبو محمد الفضل بن شاذان عن الزهاد الثمانية فقال : الربيع بن خثيم ، وهرم بن حيان ، وأويس القرني ، وعامر بن عبد قيس ، وكانوا مع علي عليه السلام ومن أصحابه وكانوا زهادا أتقياء ". وعن غير واحد من العامة والخاصة : أنه تخلف عن قتال علي عليه السلام مع معاوية وشك في جواز ذلك . فاستر خصه سلام الله عليه لان تهايل* الكفار فرخص عليه السلام له في ذلك. *كذا في المصدر. ويبدو أنّ الصواب لأن يقاتل الكفّار. وذلك لأنّه ورد في بعض المصادر أنّه أرسله إلى ثغر الريّ بدلاً من قتال معاوية. (راجع: نصر بن مزاحم، وقعة صفّين، ص١١٥).

والناس أيضًا عقلهم في عيونهم، يقولون: نعم، إن كان هناك عمامة فهنا عمامة أيضًا، إن كان هناك لحية فهنا أيضًا لحية، وربّما لم تكن لحية أمير المؤمنين بيضاء أيضًا، حتمًا لم تكن بيضاء، فأمير المؤمنين عندما توفّي رسول الله.... أعتقد أنّه في معركة الأحزاب كان عمره سبع وعشرون سنة، وقد وقعت في السنة السادسة أو السابعة للهجرة، لذلك فعمر أمير المؤمنين عندما توفّي رسول الله كان ما يقارب الأربع والثلاثين أو الخمس والثلاثين عامًا، فشابّ في عمر الأربع والثلاثين والخمس والثلاثين لا تكون لحيته بيضاء، بل هو شاب، أمّا أبو بكر فلحيته ما شاء الله كلّها بيضاء، عمامته حتمًا أكبر من عمامة أمير المؤمنين، وبين الناس هو أيضًا كذا.

تعالوا وشاركوا في صفوف المسلمين، لماذا لا تأتون؟ انظروا كم هو نوراني إمام الجماعة الذي أوقفناه أمامكم؟ النور يتساقط من وجهه، كلّ شيء فيه... هل تلتفتون؟ فهذه أمور مهمّة جدًّا، أمور مهمّة.

إنّها لمسألة مهمّة، وسبحان الله كنت اليوم أريد أن أصل إلى هذا الموضوع، وكيفيّة التوفيق بين الحقّ والباطل وتعاقبهما في نظام عالم التربية، فمن أسرار عالم التربية أنّه كيف يمكن أن يتحقّق في الخارج وفي الظهورات الخارجيّة تارة الانتصار للحقّ وتارة للباطل؟ فما سرّ ذلك وما هو السبب؟ هذا أمر مهمّ جدًّا لا أدري هل أصل إليه اليوم أم لا؟

على كلّ حال، انظروا هو إمام جماعة والناس اقتدوا به، فلماذا أنت لا تأتي؟ هل صار واضحًا؟ فهذه الصلاة لا يمكن أن تكون شعارًا، هذه الصلاة مطروحة لأجل إبعاد الولاية، هذه الصلاة مطروحة بهدف إزالة حقيقة التوحيد، وكلّما صلّيت أكثر فإنّك تبتعد عن حقيقة التوحيد هذه أكثر، وكلّما كنت في صفّ الباطل أكثر فإنّ صفّ الباطل هذا يبعدك عن ولايته أكثر. كلّ قدم تخطوها نحو هذه الصلاة فإنّك تبتعد عن الله خطوة. هل تلتفتون؟ الأمر مهمّ جدًّا، تلك كانت طريقة تفكير أمير المؤمنين وهذه طريقة تفكير من؟ أهل الدنيا. تلك طريقة تفكير المدارس الإلهيّة، وتلك طريقة تفكير المدارس الماديّة.

الفوارق بين حكومة أمير المؤمنين وحكومات الخلفاء الباطلة

هاتان الطريقتان من التفكير توجدان حركتين اثنتين:

إحداهما: حركة الحكومة الإلهيّة الحقّة، الحكومة التي يتصدّى لها أمير المؤمنين.

والحركة الأخرى: حركة حكومة الباطل وحكومة الخلفاء الباطلة الظالمة المكدّرة، الخلفاء الثلاثة وبني أميّة وبني العبّاس التي يشاهد الإنسان آثارها في أولئك الأفراد وفي تلك الحكومة نفسها.

يقول أحد الماديّين ـ والذي لا أدري ما اسمه ـ أحد السياسيّين الإنكليز: لو نصبنا تمثال معاوية في كافّة ساحاتنا من الذهب لما أدّينا حقّ هذا الرجل. لو لم يكن هذا الرجل لسيطرت حكومة عليّ على الدنيا كلّها.[1] هل تلتفتون؟ حكومة عليّ تعني الحديث مع القلوب، الحديث مع الفطريات، الحديث مع الوجدان، ما يجده في الوجدان يقدّمه. فإذن كلّ مدرسة لا يمكنها أن تنطبق على وجدانيّاتنا فهي مدرسة بعيدة عن حكومة أمير المؤمنين، بلا تردّد! سواء أسميناها مدرسة العرفان، أو أسميناها مدرسة السلوك، المدرسة التي لا تستطيع تلبية حاجاتنا ومتطلّباتنا الوجدانيّة والفطريّة، المدرسة التي لا تتوافق مع الحقائق التي أودعها اللَه فينا، تلك المدرسة هي حتمًا مدرسة شيطانيّة. سواء طرحت نفسها باسم مدرسة العرفان أو مثل المدارس الأخرى، لا فرق. مدرسة أمير المؤمنين كانت مدرسة الجواب، مدرسة الإمام الصادق عليه السلام كانت تقدّم الإجابات، تجيب على نداء الوجدان، تلبّي الحاجات الفكريّة للناس، هذه المدرسة هي مدرسة الإمام الصادق، هذه المدرسة هي مدرسة الإمام زين العابدين، هذه المدرسة هي مدرسة الإمام الرضا، أمّا المدرسة التي تقدّم العصا على رأس الإنسان بدلاً من الجواب، وتتّهم الإنسان، وتبعد الخصم عن الميدان بشعارات خدّاعة، هذه المدرسة مدرسة شيطانيّة. هذه المدرسة مدرسة شيطانيّة في أيّ ظاهر أرادت أن تتظاهر، وفي أيّ مظهر أرادت أن تبرز نفسها. فلا فرق هنا بعد ذلك.

---

[1] قال محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمّدي ص ١٩٣: قال أحد كبار العلماء الألمان فى الآستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة: إنه ينبغى لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبى سفيان فى ميدان كذا من عاصمتنا (برلين). قيل له لماذا؟ قال: لأنه هو الذى حوّل نظام الحكم الإسلامى عن قاعدته الديمقراطية على عصبية الغلب*، ولولا ذلك لعم الإسلام العالم كلّه، وإذن لكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوروبا عربا مسلمين.

*كذا في المصدر والمعنى معتمدًا عصبيّة التغلّب والقوّة. وربّما كان في على تصحيف عن إلى فيكون المعنى أوضح.

هذه هي مدرسة أمير المؤمنين، إنّها مدرسة الاستجابة للاحتياجات، مدرسة الاستجابة للقيم، مدرسة الاستجابة للوجدان. هل لدينا وجدان في النهاية أم لا؟ لقد كان النبيّ يعاملنا على أساس هذا الوجدان، كان يتعاطى معنا على أساس هذا الوجدان. أليس كذلك؟!

هذه الآية من آيات القرآن ماذا تقول؟ تقول تعالوا وانظروا، تعالوا وشاهدوا، إن رأيتموه نبيًّا واقتنعتم به فاقبلوه، وإن لم تقبلوا... تعالوا إلى هذه الآيات القرآنيّة وانظروا إليها، إن كانت حقًّا فاقبلوها، إن لم تكن حقًّا فلا تقبلوها، تقول بكلّ صراحة:

(قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا)[1]

هذا نحن، فقم وائت بقرآن مثل هذا، ثمّ اترك مدرسة الإسلام. إن استطعت فافعل. هو يقول هذا، هو يقول، افعلوا هذا، ائتوا حتّى بسورة واحدة، حتّى بعشر سور، حتّى بسورة واحدة، ثمّ اتركوه. لماذا، لماذا لا يمكنكم؟ لأنّ القرآن رفيع[2] ونحن لا يمكننا أن نصل إلى هذا القرآن. إلاّ أن نطبّق أنفسنا على هذا القرآن، حينها نصل.

التجربة التي جرّبناها جميعًا، أنا بنفسي أيضًا جرّبتها، الحقّ أعلى من يجعله الإنسان فداء لشيء. ولو استطعنا أن نقوم ببعض الأمور في هذه الدنيا فهناك ليس الأمر كذلك. الحقّ أرفع من أن نأتي ونغلّب عليه أمورًا أخرى. الحقّ أعلى من أن نأتي ونجعله فداء لبعض الأمور السافلة، وفداء لشخصيّتنا: "بما أنّنا قلنا هذا الكلام، من السيء أن نتراجع عنه!" لقد خسرنا، لقد خسرنا الأمر، خسرناه، لماذا خسرنا؟ لأنّك غدًا تسقط ميّتًا. لو كنت لا تموت، وكان لك عمر مؤبّد، لأمكن أن نقول. وإن كان هو أيضًا خسارة، ففي النهاية عالم القيم محفوظ مستقلاً، عالم الثبوت موجود في نفسه، ولا يتغيّر.

---

[1] سورة الإسراء (١٧) الآية ٨٨.

[2] جاء في سورة البقرة: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (٢٤)

وفي سورة هود: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)

افترض أنّك عمّرت عمر الخضر ـ والذي لا يزال حيًّا بحمد الله، ولا أدري لماذا طلب من الله أن يبقى إلى هذا الحدّ؟ أحد الأمور التي لا تزال [مجهولة] بالنسبة لي هذه النقطة، نعم في النهاية له آثار وبركات بالطبع ـ لو عمّرت عمر الخضر، لو عمّرت عمر نوح، في النهاية يا جناب الخضر سأتيك عزرائيل يومًا! لا تظنّ أنّك نجوت لأنّك شربت من ماء الحياة أيّها الخضر! كلاّ فإنّ عزرائيل أيضًا يعرف ماء الحياة وما هو أعلى منه. ويعرف كيف يأتي خلف كلّ إنسان وبأيّة خصوصيّات، وقد قلت لكم هذه القصّة يومًا ما، بعض الأصدقاء حدّثني بها في العهد السابق بنفسه، وكان طبيبًا، فكان يقول: نحن سبعة إخوة، كلّنا أطبّاء، وبعضهم معروفون أيضًا، حتّى أختنا هي طبيبة، فهم أسرة كلّها أطبّاء، وكأن الأقارب يقولون: هذان الأبوان اللذان كلّ أوبنائهم وبناتهم أطبّاء يجب أن لا يموتوا، يجب أن لا يرحلا عن الدنيا. كان يقول: لقد مات أبي في وقت لم يكن أحد من أولاده عنده. وسبحان الله مات بطريقة عجيبة، استيقظ صباحًا يريد أن يذهب إلى المسجد ليفتحه ويؤذّن ـ فقد كان في طريق الخير ـ ما إن يخرج تضربه سيّارة فيسقط. قال: لم يكن عنده أحد يقول له: كيف حالك؟ ولنفترض أنّه كان فماذا كان سيصنع؟ سبعة لا شيء ليكونوا سبعين فماذا يصنعون؟! هل يقوى أحد على عزرائيل؟ إن كان يقوى فليتفضّل بسم الله! لا أحد يقوى، ولو جاء الخضر أيضًا فلا يقوى. ولو كان قد شرب من ماء الحياة، ولو كان قد شرب من ماء الحيوان، ولو كان قد شرب من أيّ شيء لا يقوى، يبدو أنّ عزرائيل قد شرب شيئًا آخر أنت لم تشرب منه! فيأتي في يوم من الأيّام ويوفّيك حسابك، فقط وفقط ـ أقول هذا ـ هو يحترم أربعة عشر شخصيّة، أربعة عشر، فقد استأذن النبيّ والأئمّة والسلام. لماذا؟ لأنّهم وحدهم واسطة. ولئن كان هو يقوم بعمل أيضًا فهو من تحت أيديهم. فكلّ عمل يقوم به عزرائيل الآن فهو تحت أمر إمام الزمان أرواحنا فداه. وبدون إجازة إمام الزمان لا يحرّك طرفة عين، وبدون إذن إمام الزمان لا يتجاوز مقدار ذرّة من هنا إلى هناك. وحدهم هؤلاء الأربعة عشر. فلنعرف حسابنا، إنّ من بيده الآن عالم التقدير هو إمام الزمان فقط، وغيره جميعًا مرخصون. لقد قلت يومًا للمرحوم العلاّمة: نزلت عليّ آية: إنّا من عباد الله

المرخصين، هناك آية عباد الله المخلصين. ونزلت هذه أيضًا: نحن مرخصون. جميعنا ماضون، جميعنا أمرنا واضح.

ما أريد قوله هو أنّا يمكننا اليوم وغدًا أن نخدع عددًا من الناس، وأن نحافظ على مجموعة، مجموعة مع مكانتنا. ولكنّا خسرنا يا عزيزي! لو توقّفنا دقيقة واحدة فقد خسرنا! لو تراجعنا في العمل دقيقة فقد خسرنا، لو تساهلنا دقيقة واحدة، الشخصيّة لا قيمة لها، المكانة لا قيمة لها، الكلام الذي قالوه لا قيمة له، ماذا أجيب على فلان وفلان لا قيمة له، فكّر في غدك، فماذا أعددت من جواب لتلك النشأة؟! ليس هناك أمر يعادل العبوديّة ويعادل قبول الحقّ، ليس هناك أمر يوازي اتّباع القيم وأن يبيّن الإنسان الحقّ إذا رآه. إن كان قال شيئًا مغايرًا فيما سبق فليأت الآن وليقل: لقد أخطأت، لا إشكال، هذا هو الأمر. والمهم في الحكومة الإسلاميّة هو الوصول إلى هذه الحقائق.

ضرورة الدقّة في التعبير عن الشعارات الإسلاميّة

أذكر أنّه في العهد السابق وفي أحد الاجتماعات في مكان ما في إحدى المدارس، أرسل أحد العلماء ـ والذين هم على قيد الحياة الآن ومن البارزين ـ دعوى للمشاركة في اجتماع لأولياء الطلاب، وقد شاركت أنا فيها، فكان تعبيره عن وقت الصلاة ـ وأقول ذلك لكي تعرفوا طريقة تفكير المرحوم العلاّمة ـ بدلاً من أن يقول: وقتَ الصلاة قال: وقتَ العبادة يقوم الحاضرون بالعبادة [واستعمل لفظة فارسيّة عامّة "نيايش" وتعني الدعاء والثناء]. فرأى المرحوم العلاّمة ذلك وقال: ما معنى العبادة [نيايش]؟ لا معنى للعبادة [بهذا المعنى العام]! شعارنا هو الصلاة! المسيحيّة لديها عبادة أيضًا، اليهوديّة لديها عبادة، فهؤلاء يذهبون إلى الكنيسة أو الكنيس وأمثالها ويعبدون. حتّى البوذيّون لديهم عبادة. إنّ ما هو شعار للإسلام هو الصلاة. فما معنى ذلك؟ معناه أنّ على الإنسان أن يكون دقيقًا في انتخاب التعابير وأنّ عليه أن يعرف كيف يعبّر.

شعار سيّد الشهداء متابعة الحقّ لا بذل الدماء

مثلاً حركة **سيّد الشهداء عليه السلام** هل كان المطروح الوحيد فيها هو مسألة الدماء، لقد تحدّثت فيما سبق عن هذا الأمر، هل صار للإمام الحسين عليه السلام قيمة لأنّه قدّم الدم فحسب؟ فكثيرون يقدّمون الدماء، ويمكن للإنسان أن يموت في حادث سير، ويبذل دمه، فالدم دم في النهاية، كرياته البيضاء معلومة وكرياته الحمراء معلومة والبلازما معلومة والبلاكات معلومة، كلّ ذلك معلوم. كلّ من قطعت رقبته جرى الدم منه، مسلمًا كان أو مسيحيًّا، شيعيًّا كان أو كافرًا. فالأمر لا يختلف بهذا. ما كان مطروحًا عند الإمام الحسين هو متابعة الحقّ، سواء كان في طريق الصلح مع معاوية، أو في طريق المواجهة مع يزيد وفي النتيجة الوصول إلى تلك المراتب وإلى حادثة عاشوراء. مجرّد المواجهة مع يزيد لا قيمة لها، لا قيمة لها. ألم يكن هؤلاء المنافقون! هؤلاء الخوارج، هؤلاء الخوارج من واجهوا؟ واجهوا اثنين: أحدهما أمير المؤمنين والآخر معاوية، وكان قرارهم أن يقضوا على الاثنين. فعندما اجتمعوا في مكّة إلى جانب الكعبة، قرّروا، وشخّصوا بعقولهم العظيمة! أنّ ما يسبّب الفساد الآن هم ثلاثة: أحدهم عليّ، والثاني معاوية، والثالث عمرو بن العاص. إذا أزلنا هؤلاء الثلاثة استراح الناس، وتقتلع المشكلة من جذورها. تبرّع ابن ملجم لأمير المؤمنين، وتبرّع اثنان آخران لمعاوية وعمرو بن العاص، ولكنّ عالم التقدير هكذا. الأمر كما قلت لكم، أحد أسرار نظام عالم التربية أن ينجح من تولّى قتل أمير المؤمنين في عمله، أمّا الآخران فلم ينجحا. عجيب جدًّا! من كان يريد قتل عمرو بن العاص... سبحان الله كان عمرو بن العاص قد مرض تلك الليلة، فأرسل رجلاً بدلاً منه. فيضربون ذلك السيّء الحظ ويقضون عليه هناك. والمتولّي أمر معاوية يضربه على رجله فيجرحه ويعالجه الأطبّاء وينتهي الأمر. أمّا الذي يتولّى ضرب أمير المؤمنين فإنّه ينجح في عمله. انظروا لو كنّا نحن فماذا نقول؟ نعم من الواضح أنّ الحقّ مع معاوية، ومع عمرو بن العاص، لو لم يكونوا على حقّ فلماذا نجحا في عملهما؟! هذه هي المسألة التي نحن مبتلون بها الآن! لا تخالوا أنّها سهلة! هذه هي طريقة تفكيرنا.

يعني لو أنّ هذا الأمر وقع لكنّا نقول ـ لو كنّا نشكّ ولم يكن لدينا يقين وأردنا أن ننظر إلى الأمور من منظار الظاهر ـ هؤلاء الخوارج من كان عدوّهم؟ أحد أعدائهم كان أمير المؤمنين والآخر معاوية، فهل هذا يعطيهم قيمة لأنّ عدوّهم معاوية؟ هل هذا أمر ذو قيمة بالنسبة لنا؟ كلاّ، إنّهم بعيدون عن معاوية بمقدار بعدهم عن أمير المؤمنين، لأنّ أمير المؤمنين ومعاوية عندهم في صفّ واحد وفي نظام واحد، ومن كان تفكيره هكذا فلا قيمة له، من كان يجعل أمير المؤمنين إلى جانب معاوية ويقول كلاهما يجب أن يقضى عليهما هل هل له قيمة؟ وإذا قتل في هذا الطريق هل يصبح شهيدًا؟ واللَه يعطيه أجرًا؟ كلاّ، فبناء على ذلك لم يكن الدم هو المطروح في قضيّة سيّد الشهداء، لو كان الدم هو المطروح فلماذا لم يقاتل الإمام الحسين في هذه السنوات العشر أيّام حكومة معاوية؟ لماذا لم يبق سيّد الشهداء في مكّة وجاء إلى كربلاء ولم يسمح لدمه أن يراق في مكّة؟ هل دقّقنا في هذه الأمور نحن؟ في حين أنّه لو أريق دمه في مكّه لكان أفضل! لكانوا قالوا انظروا لقد قتلوا ابن رسول اللَه في حرم أمن اللَه، لم يكن الدم مطروحًا عند الإمام الحسين، المهمّ عند الإمام الحسين هو اتّباع الحقّ.

لقد تعبت وكنت متعبًا من البداية، وكنت أريد اليوم أن أشرع بهذه النقطة أن كيف كانت حركة سيّد الشهداء وكيف يجب أن يكون الشعار؟ لا بأس فعادة هكذا يحصل وخيرة اللَه خير على كلّ حال. وهنا كان المرحوم العلاّمة يقول يجب أن يكون شعارنا: **محرّم شهر انتصار الحقّ على الباطل**. لأجل هذا الأمر، شعار الإمام الحسين عليه السلام شعاره اتّباع الحقّ لا إراقة الدماء، إراقة الدماء إن كانت في هذا الطريق فهي جيّدة جدًّا، وإن لم تحصل فلا مشكلة. إن جرح فليس مهمًّا، إن استشهد فليس مهمًّا، هل التفتّم؟ المهمّ بالنسبة إلى سيّد الشهداء هو اتّباع الحقّ وليتحقّق ذلك بأيّة صورة، تارة يظهر بصورة الصلح مع معاوية في زمان الإمام الحسن عليه السلام، وتارة بصورة المواجهة لجيش يزيد والانتهاء إلى الشهادة في زمانه هو. تارة بصورة الاعتزال والجلوس والانشغال بأمور الناس كما ظهر في زمان الإمام السجّاد عليه السلام، وتارة بصورة بيان الأحكام وأحكام الشرائع كما حصل في زمان الصادقين الإمام الباقر والإمام

الصادق عليهما السلام. هذه المدرسة تصبح مدرسة الحقّ، الكلام كثير، وإن شاء الله يبقى في ذمّتي للرفقاء، إن وفّقنا الله وأمدّ في عمرنا.

كلّنا أمل أن لا يجعلنا الله ننحرف وننصرف طرفة عين عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأن لا نتخطّى منهج المعصومين الأربعة عشر بمقدار رأس إبرة، وأن لا يحرمنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد.